

جوزيف فان أُس والفكر الإسلامي

مقاربات مع الدراسات الإسلامية

Joseph van Es and Islamic Thought

Approaches to Islamic Studies

أ.د. ليث شاكر محمود^(*)

Prof. Dr. Laith Shaker Mahmoud

والدراسات التاريخية الإسلامية القروسطية. موضوع البحث إطلاعه على مآثر الفقيد في التاريخ والفكر الإسلامي، وعلاقته بالحلقة الأكاديمية العراقية.

ينقسم البحث إلى محورين رئيسيين فالمحور الأول يتناول قراءة في سيرته الذاتية وتكوينه الفكري واهتمامه بالتاريخ الإسلامي وعلاقته بالأكاديميين العراقيين. وفيه تناولت المطلقات الفكرية لجوزيف فان أُس ونشأته ودراساته الأكاديمية ومناصبه الأكاديمية وأوسالته وعضوياته وعلاقاته مع الأكاديميين العراقيين وزيارته ومحاضرته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة بغداد، وأخيراً محاضرته في المجمع العلمي

مقدمة

حول المستشرق الألماني الفذ (جوزيف فان أُس) Josef van Ess، أقامت مؤسسة بيت الحكمة، ممثلة بقسم الدراسات التاريخية، ندوة علمية لمناسبة وفاته، وبحضور ابنته الدكتورة مارغريت فان أُس Margarete van Ess، الأستاذة في معهد الآثار الألماني Deutsches Archäologisches Institut، حضور جمع غفير من الباحثين والمتخصصين والأكاديميين العراقيين؛ بسبب مكانة الفقيد العلمية بين أوساط الأكاديميين العراقيين المتخصصين في حقل التاريخ والفلسفة والعلوم الإسلامية؛ ولما تركه من تراث فكري ثرٌ في حقل الدراسات الإسلامية، وتاريخ التصوف الإسلامي، وعلم العقائد الإسلامية،

(*) جامعة بغداد / كلية الآداب.

University of Baghdad / Collage of Arts

العربي.

Sprachen وعلم اللغات الكلاسيكية Klassische Philologie ، وكذلك الفلسفة، وحصل على الدكتوراه عن التصوف الإسلامي، من جامعة بون - ألمانيا، سنة ١٩٥٩ م. دكتوراه (فخرية) عن الحارث المحسبي، وعمل Eberhard بالتدريس في جامعة توبينغن Karl University of Tübingen لأستاذ رودي باريت Rudi Paret ١٩٦٨ م، حتى تقاعده سنة ١٩٩٩ م، وفي سنة ١٩٦٤ قدم أطروحة حول النظرية المعرفية في المدرسة الإسلامية، نال الأستاذية على إثرها، وحصل على شهادة التأهل للأستاذية من جامعة غوته في فرانكفورت سنة ١٩٦٤ م. كما حصل على درجة الأستاذية من جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس University of California, Los Angeles (١٩٦٧ م)، والجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٦٧-١٩٦٨ م). سنة ١٩٦٨ م خلف رودي باريت كأستاذ بالمعهد الشرقي في جامعة ابيرهارد كارل في توبينغن، في كربلا (الدراسات الإسلامية والدراسات السامية) حتى تقاعده ١٩٩٩ م.^(١)

الأوسمة الأكاديمية: حاصل على ميدالية المستشرق الإيطالي جورجيو ليفي ديلا فيدا Giorgio Levi Della Vida سنة ١٩٩٩ م، وحائز على جائزة الكتاب الإيراني، جمهورية إيران الإسلامية سنة ١٩٩٩ م. زميل أكاديمية القرون الوسطى الأمريكية، أكاديمية هايدلبرغ، عضو زميل أكاديمية النقوش والوثائق والرقائق الأوروبية. وكان البروفيسور (فان أنس) عضواً في أكاديمية هايدلبرغ للعلوم، وأكاديمية برسلونة للأداب، والأكاديمية العراقية

بينما يدرس المحور الثاني: "قراءة في منهجهية ومحفوٍ مؤلفاته في الفكر الإسلامي"، وتقوم منهجهية الدراسة على القراءة التاريخية لسيرة البروفيسور جوزيف فان أنس، وإحصاء دراساته عن الفكر والتاريخ والحضارة الإسلامية، ومن ثم تصنيف هذه المؤلفات ضمن الموضوع والمحاولة للوصول إلى أهم المعطيات والتائج من خلال اعتماد منهجه التحليل الكمي لتلك المصنفات، ومن ثم تحليل المسار الفكري والأكاديمي للبروفيسور جوزيف فان أنس.

المحور الأول: قراءة في سيرة المستشرق الألماني جوزيف فان أنس

جوزيف فان أنس، باحث في الفكر والتاريخ الإسلامي، ألماني الجنسية، من أصول هولندية، ولد في ١٨ /أبريل /١٩٣٤ م في مدينة آخن Aachen بألمانيا، على الحدود البلجيكية - الألمانية. نشأ (فان أنس) في عائلةٍ فقيرة، وعاني مع عائلته World War II، وبالرغم من ذلك أصرَّ على إكمال دراسته الإعدادية، وُعرف عنه أنه كان محباً لدراسة اللغات ويتمتع بذاكرةٍ نقيةٍ قوية. درس التاريخ الإسلامي والأدب الأسباني والفلسفة والحضارة الإسلامية في العصور الوسطى خلال الفترة (١٩٥٨-١٩٥٣) في جامعتي بون The Rhenish Friedrich Wilhelm University of Bonn وفرانكفورت Goethe University. تفرَّغ لدراسة العلوم الإسلامية، إذ أتمَّ بثلاثٍ من اللغات الإسلامية القديمة: العربية والفارسية والتركية. ودرَّس بعد ذلك اللغات السامية Semitische

زميل أكاديمية القرون الوسطى الأمريكية،
وعضوية أكاديمية هايدلبرغ^(٤).

حياته العائلية

تزوج من ماري لويس بريمر، في ١٠
أغسطس ١٩٥٩ م. الأبناء: مارغريت، هانز،
غيرترود، ريتشارد.

علاقته بالأكاديميين العراقيين

تعد علاقة البروفيسور (فان أنس) بالمؤسسات
الأكاديمية العراقية لأكثر من ثلاث عقود من
الزمن. فقد جمعته صلاتٍ وثيقة بالأستاذ الدكتور
صالح أحمد العلي (١٩١٨-٢٠٠٣ م)، رئيس
المجمع العلمي العراقي السابق، وأستاذ التاريخ
الإسلامي في جامعة بغداد. تكررت زياته
للعراق منذ بداية سنة ٢٠٠٠ م، وأعقبتها زيارات
أخرى بعد سنة ٢٠٠٣ م. هذه العلاقات الوطيدة
التي ارتبط بها مع المؤسسات الأكاديمية العراقية،
التي ظهرت من خلال زياته المتكررة للعراق،
وإلقائه المحاضرات في الجامعات والمؤسسات
الأكاديمية^(٥).

محاضرته في كلية الآداب بجامعة بغداد
القى (فان أنس) محاضرته في كلية الآداب
بجامعة بغداد سنة ٢٠٠٠ م، عن بحثه الموسوم:
«طاعون عمواس»، وجاء بدعوة من عمادة كلية
الآداب وأبرقة الأستاذ الدكتور عبد الإله فاضل،
رئيس قسم الآثار وقذاك، الذي أخذ على عاتقه
الترجمة عن الألمانية، وفي إطار موازٍ كان الأستاذ
الدكتور مرتضى حسن التقيب، رئيس قسم
التاريخ، يُترجم محاضرة البروفيسور (فان أنس)
مباشرةً عن اللغة الإنكليزية. وحضر العديد من

للعلوم، وجمعية الفلسفة الإيرانية، والأكاديمية
التونسية للعلوم، والأكاديمية الأمريكية للقرون
الوسطى، والأكاديمية الأوروبية.

وحصل البروفيسور (فان أنس) على وسام
Pour le Mérite الاستحقاق البروسي
سنة ٢٠٠٩ م، كما حاز على جائزة المؤخر العالمي
(WOCMES) للدراسات الشرق أوسطية
سنة ٢٠١٠ م، فيما حصل على وسام صليب
Verdienstorden der الاستحقاق الأكبر
Bundesrepublik Deutschland من
جمهورية ألمانيا الاتحادية^(٦).

حياته المهنية الأكاديمية

عين أستاذًا مساعدًا في جامعة فرانكفورت
١٩٥٨-١٩٦٣ م)، ومحاضرًا (١٩٦٤-
١٩٦٧ م). وأستاذًا مشاركاً بالجامعة الأمريكية
بيروت (١٩٦٨-١٩٦٨ م). أستاذ جامعة
توبينغن - ألمانيا (١٩٦٨-١٩٩٩ م)، أستاذ
فخري بألمانيا منذ سنة ١٩٩٩ م. أستاذ مشارك زائر
بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ١٩٦٧ م،
درّس في جامعات: برينستون في الولايات المتحدة
الأمريكية، وجامعة باريس، وجامعة أكسفورد.
اللغات التي يُجيدها: اللغة التركية، والعربية،
والفارسية، والإنكليزية^(٧).

إنجازاته

تم إدراج (فان أنس) كباحث إسلامي جدير.
من أعماله المنشورة: علم الكلام والمجتمع
الإسلامي في القرنين الثاني والثالث المجري،
تاريخ من الفكر الديني في بدايات الإسلام، حيث
أعاد في مجلداته الستة بناء المباني الفكرية لعلماء
الدين المسلمين السابقين. حاصل على عضوية

السنة الأخيرة من مرحلة الدكتوراه، وقدّمت له موضوع أطروحتي الذي كان حول «قبائل قباعة المسيحية في القرنين السابع والثامن الميلاديين»، وقد أثني على موضوع الأطروحة مؤكّداً على أهمية تاريخ المسيحية العربية في تاريخ صدر الإسلام، كما أكدّ على أصالة الموضوع وضرورة تبع كتب الأنساب وعمل مُشّجرات لأصول القبائل العربية المسيحية في شمال وغرب شبه الجزيرة العربية، وموقفها من الإسلام وأسلمتها فيما بعد^(٤).

محاضرته في المجمع العلمي العراقي

تعود علاقة (فان أنس) مع المجمع العلمي العراقي إلى صلته الوثيقة بالأستاذ الدكتور صالح أحد العلي، رئيس المجمع العلمي السابق، منذ أكثر من ثلاثة عقودٍ من الزمن، قُبيل محاضرته سنة ٢٠٠٠ في المجمع العلمي العراقي في السنة ذاتها، وبعيد إلقاء محاضرته في كلية الآداب بجامعة بغداد وب أيام قليلة. أقام المجمع العلمي العراقي أمسية نقاشية عن علم العقائد والدراسات الإسلامية في منظور جوزيف فان أنس، في الموسم الثقافي الثاني، وبحضور الأستاذ مرتضى حسن التقيب، والأستاذ عبد الإله فاضل، وحضور عميد كلية الآداب وقتذاك الأستاذ الدكتور نزار عبد اللطيف الحديشي، والأستاذ الدكتور بهجت عبد اللطيف من قسم التاريخ بكلية الآداب، مع العديد من أعضاء المجمع العلمي العراقي. وحضرت أنا مُستمعاً أيضاً مع طلبة الدراسات العليا من قسم التاريخ. في حينها تطرق (فان أنس) إلى علم العقائد الإسلامية بمحاضرة مقتبسة من كتابه، وتطرق أيضاً إلى بحثه عن (طاعون عمواس)، هذه الترو Hatchates مثلت خلاصة أعماله الكتابية من كتب وبحوثٍ

طلبة الدراسات العليا والتدريسيين من قسمي التاريخ والآثار، فضلاً عن أساييذ من أقسام الكلية الأخرى، كاللغة الإنكليزية والفلسفة^(٥)، ترجل الأستاذ (فان أنس) المنصة ملقياً بحثه «طاعون عمواس وفقاً لمرويات الطّبرّي»، وطرح إشكاليات المرويات التاريخية الإسلامية المتمثلة بمرويات الطّبرّي، وطبيعة الاختلافات في سند المرويات التاريخية الإسلامية، وأهمية هذا الطّاعون في القضاء على طبقةٍ مهمة من الصحابة في خلافة عمر بن الخطّاب^(٦).

تأثر البروفيسور (فان أنس) بمدرسة توينيغن الاستشراقية الألمانية المعتدلة، المتمثلة بمدرسة يوليوس فلهاؤزن Julius Wellhausen (١٨٤٤-١٩١٨م)، في كتابه: (تاريخ العالى للوثائق)، والذي اعتمد مباشرةً بمرويات الطّبرّي (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، في كتابه: (تاريخ الدولة العربية وسقوطها) كان فلهاؤزن حينها أستاذ اللغات السامية والدراسات الاستشراقية والإسلامية في جامعة توينيغن، وهناك اكتسب شهرته الواسعة من كتابه المذكور أعلاه، الذي تُرجم إلى العديد من اللغات الأوروبية، وانتشر في عموم القارة الأوروبية، والمؤسسات الفكرية الغربية، وهذا التأثر لاحظناه في بحثه عن (طاعون عمواس)، عندما اعتمد على روایتی الطّبری الأولى سنة ١٨هـ، والثانية ١٩هـ^(٧).

لقاءٍ به بعد انتهاء محاضرته في كلية الآداب

تشرّفت بلقاء البروفيسور فان أنس بعید الانتهاء من محاضرته عن (طاعون عمواس)، وكانت حينها مدرّساً في قسم التاريخ بكلية الآداب، وطالباً في

لقب الأستاذ الزائر في جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس (١٩٦٧ م)، والجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٦٨-١٩٦٧ م). وسنة ١٩٦٨ م خلف أستاذ المستشرق رودي باريت^(١٢) كأستاذ كرسي للغات السامية والاستشراق^(١٣).

ومقالاتٍ منشورة. وترجم هذه المحاضرة فوراً الأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب عن اللغة الإنكليزية. وقد نال (فان أنس) استحسان ورضا وقبول وإعجاب الحاضرين من الباحثين والطلبة العراقيين^(١٤).

بدايات تأثيره بالاستشراق الألماني المعتدل والتاريخ الشرقي

إنَّ المتتبع لسيرة (فان أنس)، وولعه باللغات الشرقية والحضارة الإسلامية، وعلاقته بأستاذه هيلموت ريتter Hellmut Ritter (١٨٩٢-١٩٧١ م)، الذي كان بدوره مترجماً وعالماً بالخطوطات الإسلامية في إسطنبول، وُعرف عن الأخير ولعه بالدراسات الإسلامية ومعرفته باللغات الشرقية، التركية والفارسية، وكتب العديد من البحوث والدراسات الفيلولوجية؛ ولذلك ولَعَ كثيراً بأستاذه وكتب عنه كتاباً يُؤرخ فيه منهجه وسيرته الذاتية؛ لأنَّه كان مشرفاً على أطروحته للدكتوراه عن التصوف الإسلامي، الموسومة: (أبو الحارث المحاسبي ٢٣٤ هـ/٨٥٧ م) من جامعة بون كأُسْلَفَنَا، سنة ١٩٥٩ م، وتأثر كثيراً بأستاذه المُشرِّف، إذ كان الأخير ضليعاً باللغة التركية، وعمل مترجماً في إسطنبول، وعمل بالخطوطات الإسلامية، وأنجز العديد من الخطوطات الإسلامية؛ ولذلك تأثر (فان أنس) بهذا التراث لأستاذه المُشرِّف^(١٥). و زامل (فان أنس) المستشرق رودولف زهaim (١٩٢٨-١٣٢٠ م)^(١٦). وله كذلك مؤلفات عن سيرة المستشرقين، أمثال ما كتبه: (في الظلمة.. المستشرق هلموت ريتter)^(١٧)، وكتب أيضاً عن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣-١٩٦٢ م) والتصوف^(١٨).

وفاته

توفي في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٢١ م، في مدينة توبيغون^(١٩).

المحور الثاني: قراءة في منهجيته ومحاتوي مؤلفاته في الفكر الإسلامي

شغفه باللغات والتاريخ الشرقي والعلوم الإسلامية

كرَّس (فان أنس) نفسه، مثله مثل غيره من المستشرقين الألمان المعتدلين وال موضوعين، لتعلم اللغات الشرقية أولاً، ومن ثم لدراسة التصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية، وأخيراً علم العقائد الإسلامية والطَّوَافَات الإسلامية، وخاصة في القرون الأولى بجميع أشكالها. وهذا ما يجعله رائداً في تخصصه من بين المستشرقين الغربيين المعاصرين، وواحداً من العلماء القلائل في دائرة العلماء المسلمين الذين ليس لديهم فقط اهتمام واضح بالسائل العقائدية والفلسفية، ولكنهم أيضاً سعوا دائماً إلى مواصلة البحث عن حوار مع علم الكلام الإسلامي والفلسفة المسيحية. ففي سنة ١٩٥٩ م حصل (فان أنس) على درجة الدكتوراه من جامعة بون عن أطروحته حول التصوف الإسلامي، وسنة ١٩٦٣ م قَدَّمَ في فرانكفورت أطروحته لنيل الأستاذية حول نظرية المعرفة في المدرسة الإسلامية، لينال عَقِبَ ذلك

دراساته عن التصوف الإسلامي^(٢٢)، وهنا اكتسب مهارات معقّدة للتعامل مع التصوف الإسلامي، فليس من السهل على المؤرّخ المبتدئ، وبل حتى المحترف، التعامل مع التصوف وحركاته ورجالاته، لما ينطوي من تعقيداتٍ في الفكر والفلسفة الإسلامية، وارتباطها مع الديانات السماوية الأخرى^(٢٣). كما واصل اهتماماته بالحديث النبوي وربطه بعلم الكلام الإسلامي^(٢٤).

مقارباته بين المسيحية والإسلام مع هائز كونغ

أسهם (فان أنس) في سلسلة نقاشاتٍ، تُرجمت لبحوثٍ منشورة في جامعة توبينغن سنة ١٩٨٤م، هذه الدراسات حاولت إيجاد قواسم مشتركة بين الديانتين، وقد نُشرت بعنوان: (المسيحية وأديان العالم)، وخلاصة الدراسات ترّكز على وجود القواسم بين المسيحية وديانات العالم، بما في ذلك موضوع علم الكلام الإسلامي^(٢٥)، وموضوع التصوف وعلاقته بال المسيحية، واشترك الاثنان في الكتابة كُلٌّ حسب تخصصه^(٢٦).

أسباب تأثره بعلم الكلام الإسلامي

اهتم (فان أنس) منذ نعومة أظفاره بالفلسفة اليونانية والأدب الإسباني والتصوف الإسلامي، وحاول منذ البدء أن يُكرّس هذه المعارف في دراسته لعلم الكلام في القرنين الثاني والثالث المجريين - الثامن والتاسع الميلاديين، ورَكَز فيما بعد على دراسة النظام التعليمي في العصور الوسطى الإسلامية، وعلى الشريعة الإسلامية والروايات المتعلّقة بالحديث النبوي، وتناقله ومروياته، وتناقل هذه الرؤى في المساجد والمدارس، والتركيز على التأویلات والتفسيرات الجديدة للفقه الإسلامي الأصولي الذي ساد في المجتمعات الإسلامية وقتذاك، سواءً من قبل القدريّة أو العتّلية في العصور العباسية؛ ولذلك دفعته هذه المعارف إلى الكتابة في هذا الحقل الخصي^(٢٧).

الإسلام والقرآن

كتب (فان أنس) موضوعاً مهماً، بعنوان: (القرآن.. نص إصلاحي)، قائلاً: «القرآن هو بالفعل كتابة إصلاحية - بقدر ما يتم رفض الديانات القديمة باعتبارها طرقاً خاطئة. تجربة تاريخية: لم يختبر معاصره الرسول المسيحية كدين موحد، ولكن كثالث «كنائس» مختلفةٌ سيئٌ معاملة بعضها بعنة»^(٢٨). وهنا ينطّأ في اعتبار الإسلام أخطأ باختبار المسيحية، إذ إنَّ الحوارات التي جرت في عصر الرسالة بين المسلمين والمسيحيين خير دليلٍ تاريخيٍ داحض على بطلان رؤية (فان أنس) أنَّ الإسلام لم يُجُرّ حواراً مع المسيحية^(٢٩).

علم التاريخ والحديث النبوي الإسلامي

اهتم (فان أنس) بالتاريخ كونه يرّكز على بداية

الهوامش

- (1) Gilliotlt, Claude, *Une Leçon Magistrale D'Orientalisme: L'Opus Magnum de J. Van Ess*, In: *Arabica*, Leiden: Brill, 2000, vol. 58, Pp.141-142; Van Ess, Josef, *Die Gedankenwelt des Hāriṭ al-Muḥāsibī anhand von Übersetzungen aus seinen Schriften dargestellt und erläutert*, Bonn: Selbstverlag des Orientalischen Seminars de.
- (2) Murad, Hasan Qasim, *The Beginnings of Islamic Theology.. A Critique of Joseph Van Ess' Views*, Islamic Studies, Published by: Islamic Research Institute, International Islamic University, Islamabad, Vol. 26, No. 2 (Summer 1987), Pp.191-204.
- (3) يُنظر: مروان حسن قاسم بآدابات علم الكلام الإسلامي.. نقد لوجهات نظر جوزيف فان أنس، مجلة دراسات إسلامية، مؤسسة البحث الدولي الإسلامية جامعة إسلام آباد المجلد ٢٦ العدد ٢، صيف/١٩٨٧، ص ٤٠.
- (4) يُنظر: كتابه عن علم العقائد الإسلامية

Josef van Ess, «Theology and Society in the Second and Third Centuries of the Hijra. A History of Religious Thought in Early Islam», vol. 3, Brill, déc, 2017.

(علم الكلام والمجتمع في القرن الثاني والثالث للهجرة). المجلد ١، تاريخ الفكر الديني في الإسلام المبكر: علم الكلام والمجتمع هو الدراسة الأكثر شمولًا للتاريخ الفكري والديني الإسلامي، مع التركيز على علم اللاهوت الإسلامي. مع تركيزها على القرنين الثامن والتاسع الميلادي، فإنها تظل أكثر دراسة بروبرغرافية تفصيلية عن المرحلة الأولى من نشأة الإسلام. تُشرِّع علم اللاهوت والمجتمع في الأصل باللغة الألمانية بين عامي ١٩٩١-١٩٩٥ (م).

الخاتمة

بعد القراءة المتفحصة لسيرة ومؤلفات المستشرق جوزيف فان أنس، توصلت إلى التائج التالية:

1. يعود سبب ولع (فان أنس) باللغات الشرقية لتأثره بأستاذه هيلموت ريتز، وتعلقه بالدراسات الإسلامية إبان دراسته للحضارة والفلسفة الإسلامية واليونانية.
2. إنَّ تعلُّقه باللغة التركية يرجع إلى تشجيع أستاذته هيلموت ريتز، الذي كان مُترجماً في إسطنبول.
3. نجح (فان أنس) بأن يُؤسِّس حقلاً معرفياً متخصصاً به بالحضارة الإسلامية وتاريخها عن علم الكلام؛ لارتباطه بالأحداث التاريخية طيلة القرنين الثاني والثالث المجريين.
4. حاول (فان أنس) أن تكون له خصوصية في النهجية والرؤى لتحليل علم الكلام الإسلامي؛ بسبب ولعه بالفلسفة اليونانية والإسلامية.
5. تأثر (فان أنس) بمدرسة المستشرق الألماني يوليوس فلهوازن - نظرية النقد العالي للوثائق - وتجلى لنا ذلك من خلال نقده للعديد من الأحداث والمعتقدات الإسلامية، ونقد وتحليل المخطوطات الإسلامية المتعلقة بالطوائف الإسلامية: المعتزلة، الإباضية، الخوارج.
6. ما قدَّمه (فان أنس) للمعرفة والثقافة والأكاديمية الإسلامية إضافة واضحة لمن لم يُنكرها مسلم شرقاً وغرباً.

- (١٦) يُنظر مقالته عن القرآن: Joseph Van Ess, Islamforscher Josef van Ess: Der Koran ist eine reformatorische Schrift.
- (١٧) ما كتبه عن ماسينيون الفرنسي، ونظرته في التصوف الإسلامي. لويس ماسينيون: آلام الحلاج الصوفي الشهيد
- Louis Massignon: The Passion of al-Hallāj, Mystic and Martyr of Islam
- (١٨) يُنظر مؤلفاته عن الفكر الإسلامي في صدر الإسلام: A history of religious thought in early Islam bibliography and indices.
- تاريخ الفكر الديني في بدايات الإسلام.. بيليوغرافيا ومؤشرات، ليدن – بوسنطن، ٢٠٢٠. كذلك يُنظر: نصوص للعلم الكلام لرشيد الدين فضل الله.
- Der Wesir und seine Gelehrten: zu Inhalt und Entstehungsgeschichte der theologischen Schriften des Rašīduddin Fażlullāh (gest. 718/1318).
- كذلك يُنظر كتابه عن الإسلام والعلمانية secularism
- Die Erkenntnislehre des ʻAdudaddin al-Ici: Übersetzung und Kommentar des 1. Buches seiner Mawaqif.
- النظيرية المعرفية لعبد الدين الإيجي: ترجمة وتعليق الكتاب الأول من كتابه (الموافقات)
- Josef van] Ungenützte Texte zur Karrāmiyya: eine Materialsammlung.
- نصوص غير منشورة عن الكرامية: مجموعة من النصوص، شتاء ١٩٨٠، هايدلبرغ.
- The youthful God: anthropomorphism in early Islam; March 3, 1988.
- . the case of Abū Ishaq an-Nazzām علم الكلام والعلم: حالة أبي إسحاق النعيم، منشور في ميشيغان ١٩٧٨ م. كذلك يُنظر: (ازدهار الفكر الإسلامي)، the flowering of Muslim theology ، ازدهار الفقه الإسلامي.
- (٥) مشاهدة وحضور شخصي لحاضرة البروفيسور، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ م.
- (٦) المشاهدة الشخصية.
- (٧) المشاهدة الشخصية.
- (٨) المشاهدة الشخصية.
- (٩) يُنظر: محموداليث شاكر|دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والراشدين|أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ م. ومقابلة شخصية مع البروفيسور جوزيف فان أنس في كلية الآداب بجامعة بغداد.
- (١٠) حضور لحاضرة (فان أنس) في المجتمع العلمي العراقي، بعد حاضرة كلية الآداب بأيام.
- (١١) وفاته في ٢٦ نوفمبر ٢٠٢١ م.
- (١٢) يُنظر عنه: بدوي عبد الرحمن|موسوعة المستشرقين، ١٩٩٢ م؛ السامرائي نور المدى فايق محمد، المستشرق الألماني روדי باريت وكتابه (محمد والقرآن)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠١٣ م؛
- Van Ess, Josef, «Rudi Paret (1901-1983)», In: Der Islam, Berlin: Walter de Gruyter, 1984, Band 61, Heft 1, Pp.1-7.
- (١٣) يُنظر: مزاد بدايات علم الكلام الإسلامي، ص ٤٢٠.
- (١٤) رودلف زلهايم (١٩٢٨-١٩١٣): مستشرق وباحث لغوی ألماني، كتب عن الأمثال العربية والعلم والعلماء للخلفاء المسلمين.
- (١٥) Im Halbschatten : der Orientalist Hellmut Ritter (1892-1971).
- (في الظلمة.. المستشرق هيلموت ريتز (١٨٩٢-١٩٧١)، شتاء ١٩٧٩، هايدلبرغ.

Mas' alat al-ğabir wa ɻ-iṣṭiṭā' a dirāsa fī al-ḥadīt wa 'ilm al-kalām. Ibādī identity and imperial politics in early Islam.

الهوية الإباضية والسياسة الإمبراطورية في الإسلام المبكر.

الإله الشاب: التجسيم في صدر الإسلام، ٣ مارس/ ١٩٨٨.

(١٩) المطوري أ.حمد سعدون أ.الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية (تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أنسسه المنهجية) مجلة دراسات استشراقية، العدد ٣، ٢٠١٥ م.

(٢٠) عمرو طه صباح كامل الإسلام والمسيحية في عصر الرسالة في منظور المستشرق جوزيف فان أنس وهانز كونغ أطروحة دكتوراه مراجعة: ليث شاكر محمود وحيدر قاسم مطر التميمي (بغداد: بيت الحكمة ٢٠٢١م). كذلك يُنظر: مقدمة المترجم محمد الشاهد حوار المسيحية والإسلام جوزيف فان أنس وهانز كونغ.

(٢١) يُنظر كتابه عن الحديث النبوى بالألمانية:

Zwischen Hadit und Theologie: Studien zum Entstehen prädestinatianischer Überlieferung.

(٢٢) يُنظر: كتابه عن بدايات علم الكلام الإسلامي

Van Ess, «The Beginnings of Islamic Theology», in: The Cultural Context of Medieval Learning, op., cit., p.96.

(٢٣) يُنظر: التميمي حيدر قاسم مطر، علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان.. جوزيف فان أنمودجا، (بيروت-الجزائر: دار الروافد الثقافية ونشرات ابن النديم، ٢٠١٨م)، ص ٣١-٣٨٨.

(٢٤) يُنظر: تاريخ الفكر الديني في بدايات الإسلام.. بيليوغرافيا وفهارس.

(٢٥) يُنظر مؤلفاته عن:

Ungenützte Texte zur Karrāmīya: eine Materialsammlung.

نصوص غير منشورة في الكرامية: مجموعة من المواد، شتاء، ١٩٨٠، هايدلبرغ.

مسألة الجبر والاستعداد في الدراسة في الحديث وعلم الكلام.

عرض كتاب



The Myth of the Andalusian
Paradise
Muslims, Christians, and Jews
under Islamic Rule
in Medieval Spain

By: Dario Fernandez-Morera
Trans.: Azdashier Suleiman
Review: Haidar Q. al-Tamimi

قراءة في كتاب:

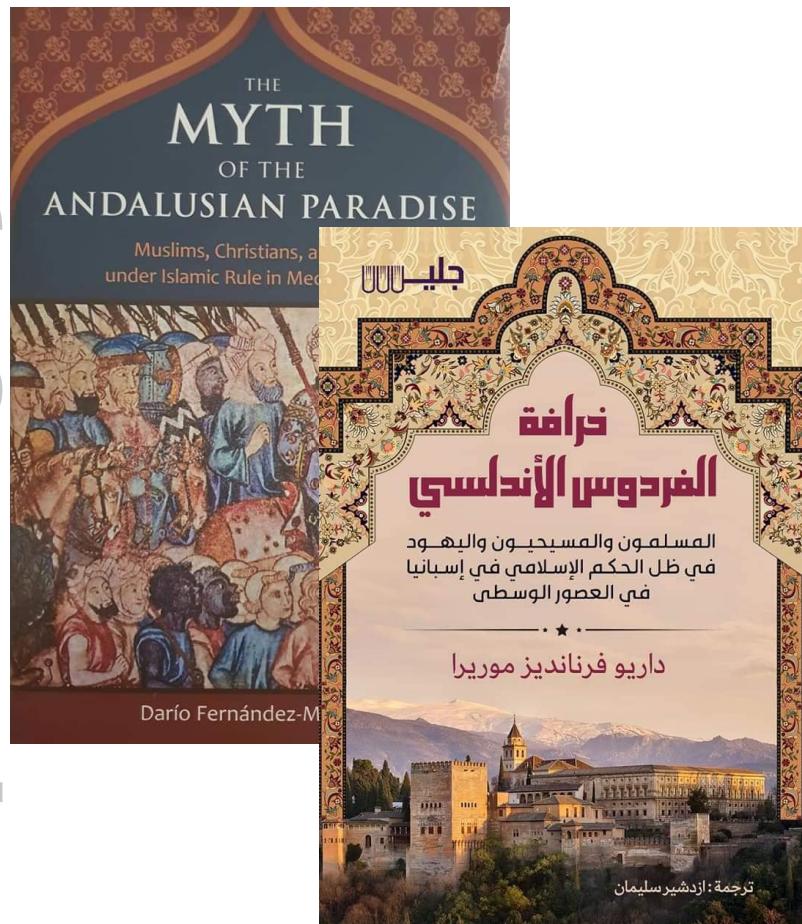
خرافة الفردوس الأندلسي

المُسلمون والمسيحيون واليهود في ظل الحكم
الإسلامي في إسبانيا
في العصور الوسطى

تأليف: داريو فرنانديز موريرا

ترجمة: ازدشیر سلیمان

قراءة: حیدر قاسم مطر التميمي^(*)



(*) بيت الحكمة / قسم الدراسات التاريخية / بغداد.

وصوبٍ عليها جيئاً.

أثار كتاب (خرافة الفردوس الأندلسي) عند صدوره ردود فعلٍ وتعليقاتٍ كثيرة، منها ما هو مُثمنٌ له وأخرى ناقدة، ولا عجب.

الكاتب، داريو فرنانديز موريرا، ذكر أنَّ هدف مؤلَّفه هو إزالة الوهم عن إسبانيا المسلمة عبر مُسَاءلة القناعة المُتشرَّبة على نحوٍ واسعٍ بأنَّها كانت مكاناً رائعاً للتسامح وتعايش ثلات حضاراتٍ تحت سيادة الحُكَّام المسلمين المُتنَوِّرين والمطبوعين على حُبِّ الخير.

الوصول إلى هدف المؤلَّف يقتضي - دوماً حسب الكاتب - تسلیط الضوء الكاشف على خصوصيات أو ميَّزات الثقافات القروسطية. خصَّص الكاتب الفصلين الأولين «احتلال واحتلال معاكس» و«تأثيرات الجهاد وتدمير الحضارة الناشئة [في إسبانيا]»، للحديث عن كيفية احتلال قوى الإسلام إسبانيا واستعمارها، دوماً وفق مفراداته. هدف الفصلان إثبات أنَّ الإسلام لم يحتل إسبانيا سلِّمياً، ويناقش قول بعض المستشرقين بأنَّ العملية لم تكن احتلالاً وإنَّها موجة هجرة، وينقضه مشيراً إلى اكتشافاتٍ أثرية في (برقة) تُبيِّن أنَّ المسلمين عملوا على تدمير الكنائس التي وقعت في طريقهم إلى الأندلس.

من منظور الكاتب، فإنَّ المسلمين غزوا البلاد بقوة السلاح هزيمة مقاومة القوط visigoth، من دون نفي حصول عقود للاحتلال السُّلْمي مقابل معاملة السُّكَّان الْذَّمِيِّين. لكن ما دفع بعضهم إلى قبول الاحتلال السُّلْمي، هي القوة العسكرية التي كانت وراءه، دوماً حسب الكاتب. أمَّا الفصول الخمسة المتبقية، فهي التالية: «حقائق الحياة اليومية في الأندلس»، «خرافة التسامح الأُموي: حاكم التفتيش، قطع الرؤوس، الخوزقة، والصلب»، «المرأة في إسبانيا المسلمة:

أول من تبنَّى ودعم مقوله وجود ثقافة التعايش والتسامح بين الأديان الثلاثة بشكلٍ صريح، هو البروفيسور الإسباني أمير كوكاسtero Américo Castro، في كتابه باللغة الأسبانية، الصادر سنة ١٩٤٨، المعنون: (إسبانيا في تاريخها.. المسيحيون والمُسلمون واليهود) (١) su historia: Cristianos, moros y judíos

صدر كتاب (خرافة الفردوس الأندلسي.. المسلمين والمسيحيون واليهود في ظلِّ الحكم الإسلامي في إسبانيا في العصور الوسطى) باللغة الإنكليزية (٢)، سنة ٢٠١٦ م، مؤلَّف داريو فرنانديز موريرا (٣)، ليصدر باللغة العربية عن مكتبة جليس للنشر والتوزيع الكويتية سنة ٢٠٢٢ م، وبواقع (٤٦٠) صفحة.

في هذا الكتاب المهم، يروي الباحث Northwestern University، داريو فرنانديز موريرا، القصة الكاملة لإسبانيا الإسلامية. يُسلط (خرافة الفردوس الأندلسي) الضوء على التاريخ المخفي من خلال الاعتماد على وفَرَةٍ من المصادر الأولية التي تجاهلها العلماء، وكذلك الأدلة الأثرية التي اكتُشفت مؤخراً فقط.

يُوفِّر (خرافة الفردوس الأندلسي) إعادة تقييم مطلوبة بشدَّة لإسبانيا في العصور الوسطى: بينما يواصل الأستاذة والسياسيون والنَّقاد الاحتفال بإسبانيا الإسلامية بسبب "العدمية الثقافية" و"التنوع"، فإنَّ فرنانديز موريرا يضع السجل التاريخي في نصابه، ويُظهر أنَّ الأسطورة المفيدة سياسياً هي أسطورة رغم ذلك.

كتاب غاضبٌ سجالي، متوئرٌ وحادٌ. اختار موريرا الأندلس مكاناً لخفياتِه الأركيولوجية والاجتماعية في الأديان والتاريخ والمجتمع

من النساء، تمَّ بيعهنَّ في قرطبة للاستمتاع الجنسي. في مقدمة المؤلَّف، يُشير الكاتب إلى مجموعةٍ من المستشرين الذين عبَّروا عن آراءٍ مخالفةٍ لما يرد في مؤلفه، فانتهتى الأمر بهم إلى الضياع، ومنهم على سبيل الذكر: عادل تيودور خوري، وروبرت مَتَّاي، وألفرد مورافيا، والفرنسي سلفان غوغنهايم، صاحب مؤلَّف aristote au mont Saint Michel، منوهًا إلى إخفاقهم في نشر أعمالهم عبرَ دور نشر أكاديمية، ذاكراً بالتفصيل تأثير الدول العربية والإسلامية، ومنها السعودية والإمارات وقطر ولبيا وتركيا في دور النشر الأكاديمية وفرض رقابة على إصداراتها. وهنا يجلب مثل تحدٍّ «جامعة ييل» الأميركية Yale University مؤلَّف يحوي الرسوم المسيئة للنبي محمد (ﷺ)، فكانت النتيجة أنها أصدرته، لكن من دون الرسم سيئ الذكر.

لكته يتعرض في بعض التفاصيل إلى الحملة على الباحث الفرنسي، ويدرك أنَّ (٥٦) باحثًا علميًّا متخصصين في الفلسفة والتاريخ نشروا رسالةً مفتوحة في صحيفة «ليراسيون» الفرنسية Libération، يهاجمون العمل وصاحبه الذي خصُّوه بكثيرٍ من النعوت.

اعتمادًا على مؤلفات الباحثة آنفي الذكر، يُشدد الكاتب على عدم صحة القول إنَّ الحضارة اليونانية فُقدت، وأنَّ العرب اكتشفوا الكتابات العلمية والفلسفية وأحيوها عبرَ الترجمة. ويُشير إلى حقيقة أنَّ الترجمات أجزها عرب مسيحيون سُكَّان البلاد التي فتحها الإسلام، وأنَّ قبة الصخرة بناها المسيحيون. كما يذكر أنَّ كتابات أرسسطو تُرجمت في «دير مون سان ميشيل» abbey of mont saint-michel قبل الترجمة العربية، وبالتالي لم يكن ثمة انقطاع بين أوروبا والحضارة اليونانية،

الرَّجم والمحجَّب والعبودية الجنسيَّة»، «حقيقة العصر الذهبي لليهود»، و«أوضاع المسيحيين من الذميين إلى الإبادة». هدف هذه الفصول الإلصاء على مسائل ندر ما تُمَّ التعامل معها في الأبحاث ذات العلاقة، وهي الأضطهاد الحضاري في مناحي الحياة كافية، وتهميشهن مجموعاتٍ بأكملها بهدف السيادة التامة على البلاد، برأي الكاتب.

من ناحيةٍ أخرى، يُشدّد الكاتب على استعمال الاسم (إسبانيا) وليس (أييريا) الذي ساد في الأندلس، موضحًا أنَّ الاسم الحالي كان مستعملاً في الماضي ويمكن العثور عليه في كتابات الإخباريين العرب، رغم عدم نفيه إمكانية أنَّ اسم البلاد الحالي مشتق من القرطاجية، أي «الكتناعية»، ربما من الجذر الكنعاني «سبان» الشمالي - أفريقي أو ما يُسمَّى (البوبي)، بمعنى الخفي أي: البعيد.

كما يناقش الكاتب ما يراه من أسباب لتجنُّب المستشرين الخوض في هذه المسائل، ويعيدها إلى أسباب عديدة منها ما أطلق عليه «العمى بدافع» motivated blindness، أو «براءة المثقفين»، أو البحث العلمي الزائف أو الرديء من بعض الأساتذة والصحافيين. وفق الكاتب، فالمجتمع الأندلسي كان متعدد الثقافات بفضل سلطة الأتوغراطية ورجال الدين التي لا تعرف الرحمة، فحطَّمته الصراعات الإثنية والدينية والاجتماعية والسياسية.

تجاهل الكاتب حقيقة طرد المسلمين واليهود بعيد سقوط غرناطة. كما يُدين الكاتب الباحثة، متهمًا إياها بإهمال العامل الديني المحرك للفتوحات، أي الجهاد. يذكر على سبيل المثال أنَّ الأندلس كانت دار جهاد وفي حالة حربٍ مستمرة مع جيرانها. على سبيل المثال خلال فترة حكم هشام الثاني، أُنجزت (٥٦) غزوة، وفي سنة ٩٨٥ على برشلونة تمَّ أخذ (٧٥٠٠) أسير، معظمهم

وأنه لم توجد حاجة لظهور الإسلام على المسرح العالمي لإنجاز ذلك.

من المآخذ على المؤلف تصوير الكاتب إسبانيا الكاثوليكية القروسطية كأنها تشبه سويسرا الحالية، وتجاهله حقيقة طردها المسلمين واليهود بعيد سقوط غرناطة.

يُضاف إلى ذلك ارتكاب الكاتب أخطاء بخصوص مسألة اللغات، إذ أدعى أن القوطية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللاتينية! كما أخذ عليه الاستطالة في الكلام عن الجهاد والادعاء بأن كل نتاج الحضارة الإسلامية سيء، ما يوحى بقوة بوجود أهداف للعمل لا علاقة لها بالبحث العلمي.

كما لام أحد المعلقين عدم نشر العمل في دارٍ أكاديمية، إنما عبر منظمة سياسية يمينية.

أخيراً، يقول الكاتب إن مؤلفه، الذي يعتمد على نحو رئيس على المصادر الأولية، ينحصّن التمظهر الشفافي للمسلمين واليهود والمسيحيين في إسبانيا المسلمة بهدف تسلیط الضوء على بنية المجتمع الذهنية ونمطه الجماعي. لكنه في الوقت نفسه يُشدّد على نفيه أن هدفه الحكم على مسلمي ويهود ومسيحيي عصرنا، ولا يؤيد صراع الحضارات، كما أنه لا يسعى لبناء جسور بينها.

الفوامش

(Endnotes)

(1) تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة (المشروع القومي للترجمة)، رقم ٥٢٢، ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، مراجعة: حامد أبو أحد.

(2) Dario Fernández-Morera, *The Myth of the Andalusian Paradise: Muslims, Christians, and Jews under Islamic Rule in Medieval Spain*, Intercollegiate Studies Institute; 1er edición, (22 Febrero 2016).

(٣) أستاذ مشارك في جامعة نورث ويسترن بالولايات المتحدة الأمريكية. حاصل على شهادة الماجستير من جامعة بنسلفانيا University of Pennsylvania، وعلى شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد Harvard. وقد عمل في المجلس القومي للعلوم الإنسانية بالولايات المتحدة United States National Council for the Humanities. تشمل أبحاثه ومحاضراته - من بين موضوعات أخرى - الأدب والتقاليد والتاريخ الإسباني في العصور الوسطى. نشر العديد من الكتب والدراسات - باللغات الإنكليزية والإسبانية والفرنسية - حول القضايا الثقافية والتاريخية والنظرية والمنهجية، بما في ذلك: لقاء الأوروبيين والمنتدِيَّين، وإسبانيا الإسلامية (الأندلس)، والحداثة، مختصاً بشكل أساسي بآداب الكاتب المسرحي والروائي الإسباني Miguel de Cervantes Saavedra (١٥٤٧-١٦١٦م). شغل منصب مدير الدراسات الجامعية في قسم اللغة الإسبانية والبرتغالية بجامعة نورث ويسترن Northwestern University، من بين مؤلفاته:

- *The Myth of the Andalusian Paradise: Muslims, Christians and Jews under Islamic Rule in Medieval Spain*.
- *Chrétiens, Juifs et Musulmans dans al-Andalus: Mythes et Réalités de l'Espagne Islamique*.
- *El Mito del Paraíso Andaluz: Musulmanes, Cristianos y Judíos bajo el Dominio Islámico en la España Medieval*.
- *American Academia and the Survival of Marxist Ideas; The Lyre and the Oaten Flute: Garcilaso and the Pastoral; Fray Luis: Poesía (ed.)*.
- *Europe and its Encounter with the Amerindians (ed.)*.
- *Cervantes in the English Speaking World (ed. with M. Hanke)*.
- *Cervantes y su mundo (ed. with K. Reichenberger)*.
- *Cervantes y su mundo II (ed. with E. and K Reichenberger et al)*.

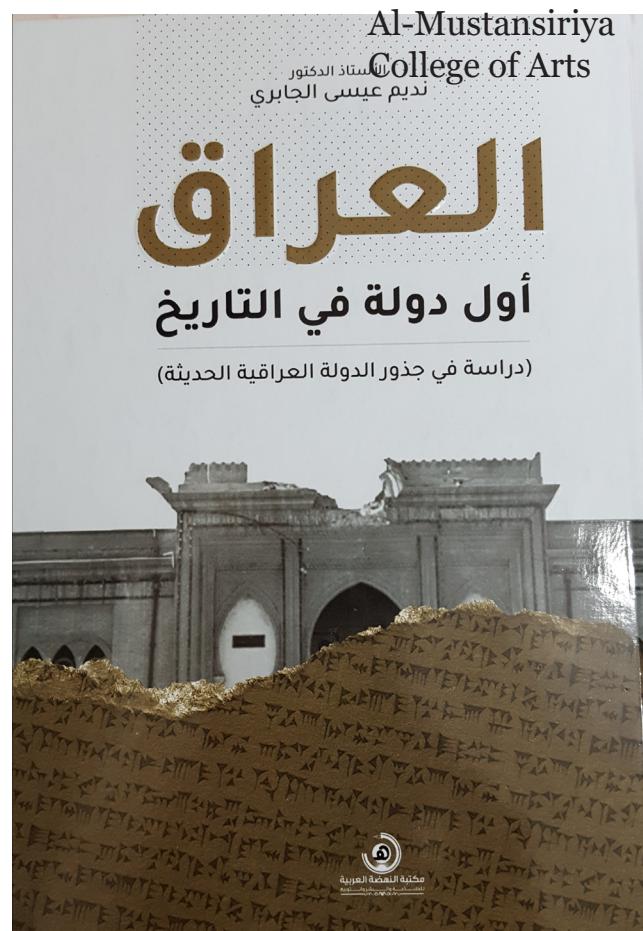
عرض كتاب:

العراق.. أول دولة في التاريخ

قراءة نقدية لخاتمه
Iraq.. The First Country in History

د. نهار محمد نوري (*)

A Critical Reading of the Book
Conclusions
Dr. Nahar Muhammad Nouri



dr.nahar@uomustansiriyah.edu.iq

(*) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب.

ما في الخاتمة - ونحن نتحدث عنها بالذات، فمن المفترض رد المعلومة لأصحابها الفعليين لثبت حق علمي، والابتعاد قدر المستطاع عن الضبابية والمرونة غير المبررة في الاقتباس التي يقع بها مؤلف ما بقصدٍ أو بغيره!

في الكتاب موضوع البحث، لم يكن المؤلف مع الأسف - موفقاً فيها طرح من اقتباساته في خاتمة كتابه أعلاه، إذ ترك بعض الفقرات دون الإشارة إلى مصدرها، وهو أنها (كوني مؤلفها الأول، ومعبراً عنها بوصفي الخاص) وهضم هذا الحق في نسبة لمصادر أخرى، على الرغم من قراءته لبحثي (العراق ليس مصطنعاً) بدليل استخدامه إياه؛ وللتدليل على هذا الكلام، أسوق التقابل النصي في خاتمة مع الفقرات المتناظرة من بحثي: أول نص الوارد في نهاية ص ٦٠٦، القائل: «مصطلح العراق بوصفه بدلاً اجتماعياً عن العشيرة، أو بدليلاً جغرافياً عن الديرة»... في ظل الوجود البريطاني

هذا النص هو بالضبط ما وصفته بعد قراءةٍ مُستفيضة لكتبٍ متعددة، أبرزها وثائقية، واستندت عليه في مطلع ملخصي لبحثي (العراق ليس مصطنعاً، أنظر: ص ٧٤، ص ١٠٣ - ١٠٤)

السؤال هنا للمؤلف، أين هامش التدليل على كوني أنا قائل هذه الجملة الاستنتاجية، لترى أين الهامش؟

بعد ص ٦٠٦، أي في ص ٦٠٧ نرى الهامش الأول، من؟ هنا يصدرك المؤلف وضع الهامش لكتاب جي ليسترنج، وربما سيدافع المؤلف الكريم ويقول: أنا لم أهَّمْش على مقولتك كوني أتفصّل مصطلح العراق، وأريد للقارئ البحث عن مرجع متخصص فيه، لا غبار على ذلك القول، لكن؟

استضافت منصة بغداد مدينة الإبداع الأدبي، التي تتخذ من بيت الحكمة مكاناً لعرض نشاطاتها، الدكتور نديم عيسى الجابري، حول كتابه: (العراق.. أول دولة في التاريخ)، وذلك يوم ١٣ / كانون الثاني / ٢٠٢٢ م. وقد تكونت لدى من خلال اطلاعه على الكتاب، وتحديداً خاتمته، بعض الملاحظات النقدية التي أسجلها على مؤلفه، دونتها في أدناه.

ليس هدف هذا المقال التقليل من شأن أحد، ولا تُصَدِّد المؤلف فيما يظن أنه سهو أو تعمد. لكنه قراءةٌ نقدية من أكاديمي لأكاديمي ستعتمد على النص مقابل النص، لترى النسبة والتناسب في أحقيته رد المعلومة إلى أصحابها الفعليين؟ وبوادي أنَّ أنَّه لقارئ الكريم أنَّ قراءتي النقدية لا تمحور تجاه الكتاب وفرضياته جميعاً، فهي تخص الباحث المؤلف، لكنها ستنصب على آيات الاقتباس والاستشهاد التي أوردها السيد المؤلف في خاتمة كتابه، والتي لها علاقة مباشرة ببحثي المعنون: العراق ليس مصطنعاً، المنشور سابقاً سنة ٢٠١٨ م، في مجلة أسطور التاريخية، الدوحة - قطر، العدد (٨)، عن فرضية الدولة المصطنعة، وهو متاح على الموقع الإلكتروني:

<https://bit.ly/3Gii gfx>

من بدويات أعراف كتابة الخاتمة - لدى الأكاديميين بالذات - أنَّها تمثل بنات أفكار المؤلف الحصرية، أو أنها تمثل ما استوت عليه أفكاره وتجسَّدت في الخاتمة وصفاً وتحليلاً واستنتاجاً، وربما يُسمح - في الخاتمة - في حالاتٍ ضيقه للغاية في موضعه بعض المهامش والإحالات من باب التوكيد.

إذن، بالمحصلة إذا كان ثمة تنصيص على مصدرٍ

الخلافة الشرقية، ترجمة وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (د.م: مؤسسة الرسالة، د.ت.)، ص ٤٠، ص ١١٤-١١٧، ص ٢٢٠-٢٢١.

مع الأسف المؤلف الكريم، اعتقد أنَّ النقطتين اللتين اتبسهما مني هما موجودتان بالنص الحرفي في ليسترنج؛ لأنَّه اعتقد أنَّ تذليلي له هو اقتباس كامل حرفي منه، بدليل هو وضع هامش رقم واحد (في ص ٦٢٠، المعنون: هوامش الخاتمة في كتابه) فقط مهمَّش على ليسترنج، وبالضبط في الصفحات ذاتها التي أشرت أنا بها في بحثي!
و هنا أود أنْ أبَّهُ المؤلف الكريم بأنَّ ليسترنج لم يتناول أيَّ شيءٍ يتعلَّق بوضع اسم العراق في الخرائط، لا من قريب ولا من بعيد.

كل ما في الأمر أنا قلت بالهامش: من أجل متابعة مصطلح العراق جغرافياً وتاريخياً، يُنظر ليسترنج، لا كِلتَا الأوصاف في النقطتين أعلاه هي فيه.

ويقول المؤلف في خاتمة، على ص ٦٠٧، الآتي: إذا كانت أطروحة (الدولة المصطنعة) قد بُنيت على الأنماذج الأوروبي في تكوين الدول الحديثة، ذلك الأنماذج الذي يعتمد على مفهوم (الدولة - الأُمَّة)، ويرجحه على ما سواها من تفسيرات لتكوين الدول الحديثة، ويحصرها عليه، محتسباً إياها (الأنماذج الأكمل) في قياس درجة تطور الدول الحديثة النشأة، واندماج سُكَّانها، وتجانسهم... ويُقحمها في دائرة الإدماج القسري المُخْلَق... الخ. وهذا ما أرادته أو روجته السَّريديات الغربية.

أمَّا النص الخاص بي، المأخوذ منه في بحثي في ص ٧٧، فنصه هو:
تصُورات فرضية الدولة المصطنعة (ولاسيما

حتَّى في ص ٦٠٧، هناك استنتاجان بنقطتين وضعنا أيَّضاً مهْمَّشة على ليسترنج، وكلتا النقطتان من بُناة أفكارِي الاستنتاجية، لنرى ما مُعطى هاتين النقطتين:

اعتماد صيغة: المركزية الموحدة للولايات العراقية الثلاث.. لاسيماً منذ أواخر القرن التاسع عشر سعوداً.

تمَّ تدوين العراق في الخرائط العثمانية، لاسيماً منذ أواخر القرن التاسع عشر سعوداً. وذلك بالتزامن مع مصطلحاتٍ تمَّ تداوَلها في الخرائط القديمة، لعلَّ أبرزها مصطلح العراق العربي... الخ.

هذا النص المحور للنقطتين كُتبتا في صدر بحثي في ص ٧٤، وجزء منها كالآتي:

يرى الباحث أنَّ ثمة نزعة عراقوية راسخة كرَّستها الإدارة العثمانية في مراحل متعددة من حكم الولايات العراقية، كان من أبرز ملامحها الاتجاء أو الإقرار بوحدة الإدارة المركزية للولايات العراقية الثلاث، لتعقبها في مراحل أخرى محاولاتٍ جديَّة لتقديم اسم «العراق» في الخرائط العامة المُتعلَّقة بهذه الولايات، ولاسيماً في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بالتزامن مع مصطلحاتٍ سبق أنَّ تمَّ تداوَلها في الخرائط القديمة كمدلولات بصفةٍ جغرافية على غرار مصطلح العراق العربي وامتداداته واندماجه مع ما وقع في شمَاله (إقليم الجزيرة)، أو إقليم الجبال (عراق العجم).

وكان هامشي به، هو:

من أجل متابعة جغرافية - تاريخية بشأن مصطلحات «العراق وإقليم الجزيرة وعراق العجم»، يُفضل مراجعة: كي ليسترنج، بُلَدان

الآخرين بدون تهميش مُقنع، أترك هذا التساؤل المفتوح للقراء الإجابة عليه.

لابأس أنْ يُعجب أيَّ كاتبٍ بمقولةٍ ما، ويود توظيفها ببحثه. لا بأس في ذلك؛ لأنَّ هذا دليل على التفاعل العلمي.

لكنَّ أَنْ تُصاغ بأسلوب المؤلِّف وتُذكر كأنَّها من نتاجه، فإنَّ هذا يتعارض مع الأمانة العلمية، ومنهجية البحث التاريخي.

لأنَّ ما عداه، أيَّها السادة، سيقع المؤلِّف في شَرَك نسبتها إليه، وربما يُتهم في ذلك بكونه متهاون، ويُبِح لنفسه السطو على تأليف غيره لا سامح الله.

رَحِمَ اللهُ الدُّكتُور فالح عبد الجبار، مُرَأةً قال في لقاءٍ علمي متلفز، «ربما أُعجب بمقولةٍ ما لأنَّ لحنها الصوتي أُعجبني، لكن هنا في الغرب أكثر شيء يُحاسِبون عليه هو التنصيص على الشخص القائل الفعلي».

إنَّها معضلة إهمال صاحب التوصيف الأول في عُرف فوضى الاقتباس!

ختاماً، أرجو من السيد المؤلِّف الرد على ملاحظاتي النقدية وفق الأُسس العلمية، وفي سياق حق الرَّد الذي تكفله مجلَّة دراسات تاريخية.

السردية البريطانية) قد شدَّدت على الأنماذج الأوروبي في تكوين الدولة الحديثة؛ ذلك الأنماذج الذي يُقدم فكرة ومفهوم «الدولة - الأُمَّة» على سواه من تفسيرات تكوين الدول الحديثة ويقصُّرُها عليه، ليُعَدُّها بالتالي الأنماذج الأكمل في قياس درجة تطور الدول الحديثة النشأة واندماج سُكَّانها وتجانسهم داخل إطار الحدود الإدارية. بمعنى آخر، إنَّ عدم التماهي مع أنماذج «الدولة - الأُمَّة» سيفرز بالحصيلة إخفاقاً في تجانس المكونات الشعبية وإيجاداً للاندماج القسري المُختلف في تكوين وبنَى الدولة سياسياً وإدارياً؛ وهذا بالضبط ما أرادت أنْ تُروِّج السُّرْدية البريطانية ونظيرتها. المُحزن والمُؤلم في هذا الأمر، أنَّ هامش السيد المؤلِّف وضع لغيري، إذ وضع هامش رقم (٢) الوارد في ص ٦٠٧، على كتاب المؤلِّف نجيب الماجدي (هامش الكتاب في ص ٦٢٠). كما أورد المؤلِّف على ص ٦٠٨، النقطتين الآتتين:

ب. تصاعد الاهتمام بـ(مُصطلح العراق) بدلاله جغرافية شبه بديلة للتسميات الثلاثية... الخ.

ج. كما يُلاحظ، استخدام (مُصطلح العراق) لدى الفئات المُجتمعية العاَمَّة، ولدى النُّخب العراقية. إذا كان له حضور فاعل بوصفه مُعطى جغرافي... الخ.

هنا أؤكّد للسيد المؤلِّف بأنَّ هذا مقتبس من بحثي المذكور آفَّا، وعلى الصفحات ٧٧، ٩٣ وما بعدها. أليس من الإنصاف والأمانة العلمية أنْ يُشير إلى ذلك في الهامش؟

والأنكى من كُلِّ ذلك، هذه النقاط جميعها وردت في خاتمة بحثي، فهل يُبيح ذلك انتقاليها إلى